الدكتور عبد الله مصطفى

البرد القصير على سونيتات شيكسبير

٨٢٠.٧ر
ش ٨٥٢ شكسبير ، وليم
البرد النضير / وليم شكسبير ؛ ترجمة عبد الله مصطفى .. بغداد
: دار الانبار للطباعة ، ١٩٩٧.
ص ، ٢٤سم
١ ـ الادب الانكليزي ـ دراسة
٢ ـ الشعر الانكليزي ـ دراسة ونقد
أ « عبد الله مصطفى (مترجم)
ب. العنوان / المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)
م. د ٩٩٧/٢١٤

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يوسف أحمد ١٣٢١ هجرية

«إنّ من البيانِ سحْرا»

أهدي

هذه التحفة من شعر ونثر

إلى أولادي وأحفادي وكنّاتي، ولاسيما

إلى ابني فائق صاحب العمل الروحاني

وعميد الأسرة بعد ارتحالي، وإلى بنتي

سنى صاحبة الاختصاص بالأدب الانكليزي

المقدمة

شعر شيكسپير من عيون الأدب الانكليزي . و "سونيتاته" من عيون شعره . و هذه المترجمات هنا هي نخبة من "سونيتات شيكسپير .

و لقد ذهب الكاتبون في أمرها و أمر ناظمها كل مذهب . قدموا و أخروا من السونيتات كثيرا : فمنهم من ينشد موافقة النسق الأصل في ترتيب الشاعر ، و منهم من يزعم إعادة الترتيب على ما يزعم وضعا ميسرا لفهم معانيها ، وهم جميعا يقولون يرومون من وراء ذلك كله استكناها لسجايا شيكسپير و أخلاقه و أهوائه من خلال سونيتاته .

و الذي لاشك فيه هو أن هؤلاء كلهم إنما يهوّلون في شأن هذا الشعر و شاعرهم تهويلا . يرفعون به من قدرهما كما يرون . و قد يبلغون بالمبالغة فيهما حدّ الاساطير. ثم تدور الدائرة على الشاعر المسكين من حيث يريدون و من حيث لا يريدون . أو لا ترى إلى عظائم مسائلهم فيه أن منها التالية ذكرا :-

١- هل كان شيكسپير يعشق من الغلمان الشقر ؟

٢- و إذا كان يعشق واحدا على التخصيص فمن هو هذا الذي قد عشق ؟

٣- هل كان شيكسپير يهوى من النساء السمراوات ذوات العيون السود و الشعر الأسحم ؟

٤- و إذا كان يهوى واحدة منهن على التخصيص فمن هي هذه التي قد أحب ؟

٥- هل كانت هذه إمرأة متزوجة جمع الشاعر بعلاقته معها الشذوذ الأخلاقي عنده إلى الشذوذ الجنسي ؟

٦- ياترى ماذا كان يبتغي شيكسپير من ذلك الفتى الأشقر؟!

و لقد أكثروا من الأجوبة كما أكثروا من الأسئلة. فمما قالوا أن الفتى الذي استهام به الشاعر إنما كان لورد "وليم هربرت". و لن يعدم الباحث في الشاذين بين اللوارد شذوذا جنسيا اسماء أخرى في غير زمان هذا الشاعر أيضا. و لن يعدم أيضا آخرين من الشذاذ بين ادباء كمثل "اوسكار وايلد". و من خائضيهم في الأجوبة من اشار في الغلمان الى غير "هربرت"، أو قال قولا مسرفا نرى ذكره ضربا من ضروب العبث.

فأما السمراء الفاتنة فقالوا قد كانت "ماري فيتون". و هذه وصيفة ملكية أرادوا على أعرافهم رفع مكانة الشاعر باقرار الصلة بينهما. ثم ظهرت صورة (لوحة) لميري تثبت أنها أنما كانت عانسا شقراء، و ليست السمراء المتزوجة أحبها شيكسپير و وصفها. و قالوا أيضا إن السمراء إنما كانت السيدة "دافينانت"، زوجة السيد دافينانت و أم سير "وليم دافينانت" الكاتب المسرحي المعروف. أما دافننانت الأب فكان صاحب حانة خمر وخان

يرتادهما الشاعر في اكسفورد على طريقه إلى لندن. وأما دافينانت الابن فقد كان يتباهى في مجالس الانس بأنه الابن غير الشرعي لشيكسپير.

ذلك ما قاله اناس من امة شيكسپير متخصصون في شعر شيكسپير. و نعذرهم. فإنهم أقوام ورثوا من أسلافهم سجايا الرغبة الجامحة في الشائعات و المفتريات و قذف الجانحين الى الاخدان و الغراميات - يتقصون فيها الحكايات و الأخبار و القصص كتابة و قراءة و احاديث.

أما نحن فنأبى أن نستبيح حمى الشاعر الانگليزي بعد مماته بأن نقذفه خفافا أو نرميه جزافا. ليس التغزل بالغلمان بدعة مخصوصه بشعر شيكسپير و الأدب الانگليزي، و لا قول شاعر في المردان ينبغي أن يعد إعترافا او شاهد حال على التزامه الشذوذ و اتيانه الموبقات. ألم تر أن الشعراء في كل واد يهيمون، و أنهم يقولون ما لا يفعلون. و على فرض أن الشاعر إنما كان قوالا بما يفعل - كما توهموا - فان الذي يعنينا اليوم انما هو أقواله الباقية لا أفعاله الفانية. بل على فرض أن الشاعر المسكين قد كان - كما زعموا - منحرف الطبع شاذ المنحى فليس ذلك باول قارورة كسرت في امته، ولا مغيرا من الشعر الذي خلفه هو شيئا.

فأما الشعر المعروض أمامك، انگليزيه و عربيه،

فاقرأ كله قراءة فهم و ذوق و تمييز . و هذه مقومات النقد . فإذا توفرت عليه فما أخالك الا واجدا العربي منهما أوضح بيانا و أعذب لسانا و أدق فنا وأحلى ايقاعا و نغما . و رب ترجمة فاقت الاصل المترجم .

لكن لنتساءل : أيّان وجد شيكسبير هذا الفن من الشعر ؟ أهو قد كان ألفاه عند من سبقوه فاقتبس و اصطنع ، أم قد غدا هو سباقا في هذا الفن بما ابتكر و ابتدع ؟ وقائع الشعر و التاريخ تملي جوابا مثبتا لأول الشقين من هذا السؤال .

ما كان شيكسپير الوحيد من بين أقرانه المعاصرين في اتخاذ هذا النمط من الشعر . لقد نظم غيره مثل ما نظم ، كمثل دانييل سامويل (١٥٦٢ - ١٦١٩م) الأكبر منه سنا بنحو عامين . و قد سبقهما شاعر انكليزي آخر ، هو فيليب سدني الذي بارح الدنيا سنة ١٥٨٦م ، أي حين كان شيكسپير شابا في نحو الثانية و العشرين من سني عمره . و إنما بدأ شيكسپير يكتب عام ١٥٩٠ . لسدني مزيد عناية بتوشيح السونيت توشيحا منمقا بتغيير مواقع الروي الشعري ، و في هذا إشارة إلى علمه بخصائص المصدر الأصل الذي اقتبس منه هؤلاء الشعراء جميعا هذه الغلالة الرشيقة من فن الشعر . فإذا شئت فاذهب الى سونيتة له جميلة منشورة في مجموعة " ذ گولدن تريژري " لپالگريف . و أقدم من اولئك زمانا الشاعر الايطالي " پيترارك " الذي نسج على منواله كثيرون إنگليز

و فرنسيون .

بل المعروف في تأريخ الأدب الانكليزي أن الشاعرين "ويات" و " سَري " ، المتأثرين بالغ التأثر بالشعر الايطالي ، هما اللذان أدخلا حلة السونيت القشيبة إلى انكلترا لأول مرة ، مقتبسين إياها من الشعر الايطالي اقتباسا مباشرا . وقد وافاهما الأجل تباعا في السنتين الميلاديتين ١٥٤٢ و ١٥٤٧ ، أي قبل ميلاد شيكسپير بسبعة عشر عاما بالنسبة الى ثانيهما و باثنين وعشرين بالنسبة للأول . لقد عرف الشعر الانكليزي السونيتات قبل عهد شيكسپير بنحو من ربع قرن ، عرفها من خلال الشعر الايطالي المهذب.

فكما تساءلنا آنفا عن أمر شيكسپير هل كان استاذا متبّعا في جنان السونيت أم تلميذا متبّعا ، فكذلك يقتضينا البحث هنا أن نستجلي ما إذا كان الشعر الايطالي هو المعين الاول للابداع تدفق منه هذا النمط من الشعر الجميل ، أم أنه إنما كان جدولا صار أن انساب اليه النمير الرائق من منبع آخر للابداع أوفى و أوفر .

النهضة الاوروبية الحديثة عهدما ابتدأت نحو التكامل لتصبح آخر الأمر الحضارة الاوروبية الحديثة نعاصرها - تلك النهضة إبان انبثاق هذه الحضارة ما كان لها من منابع المعرفة و العلم و الأدب سوى ثلاثة ينابيع هي التي زودتها بمقومات الحضارة جمعاء . الينبوعان الأول و الثاني من الثلاثة كانا شبه سامدين تقادم

عليهما الزمان و كانت أسفارهما المكتوبة قليلة تحسب بالعشرات. أما الثالث فقد كان ينبوعا عظيما جديدا طريفا تدفق الى القارة الاوروبية بمصادر العلم و الأدب معدودة بالآلاف. هذه الثلاثة الينابيع هي: الحضارة الاغريقية، و الحضارة الرومانية، و الحضارة الاسلامية. فأما ما يتصل من هذه بالشعر الذي نبحث الآن عن مصدر ابداعه فالخطب فيه يسير. ماعلمنا قط بالسونيت في الشعر اليوناني الاغريقي و لا في الشعر اللاتيني الروماني - لا إسما ولا مسمى و عينا. و نعلم علم اليقين تدفق السونيت مسمى وعينا ماثلا للعيان في الشعر الاسلامي الأندلسي. فالسونيتات هي هي الموشحات الأندلسية بأعيانها نظمت باللغة العربية بادئا ثم بالايطالية فبالفرنسية ثم بالانكليزية بعد حين. و هل للموشحات، غناء و شعرا، من مصدر ابداع غير ينبوعها الجادي: الأندلس!

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك الا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس

غيث همى على ربوع الشعر و أزهارها المزدانة أشكالا و ألوانا في الغرب و الشرق، في توسكاني و پادقا و روما، في پاريس و لندن، في القاهرة و دمشق و بغداد. فنون

ماتزال تزهر في الغرب، لكنها قد أمحلت اليوم في الشرق و بارت. هذا هو الفن العجيب والثوب القشيب ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

هذا هو المسمى، فلننظر الآن إلى الاسم عربيه و ايطاليه. الموشّح هو الذي البس أو قلّد وشاحا؛ و الوشاح قلادة عريضة مرصعة بانواع من الجواهر و اللؤلؤ، تلبسه الحسناء بين عاتقها و كشحيها. سمى الأندلسيون رائعتهم الشعريه بالموشحة (جمعها موشحات و اسم جنسها الموشح) لأنها مزينة بجواهر منوعة من أصوات الروي و القافية متغايرات متناسقات تتداخل و تتمايز في نظام بديع على قوام من حسناء الشعر مرهف جميل. و أساس التسمية - كما ترى - هو الزينة المحببة المنقمة بتنويع أصوات الروي دونما التزام بروي واحد فرد في جميع أبيات القصيد. فهذه الموشحات هن حسناوات شعر قلدن أوشحة من أصوات الروي المتمايزة المتناغمة كأنها الجوهر والدرّ النضيد. فيا لافئدتكم أيها الاندلسيون، هذه التي رقّت بالجمال ومن جمال الى جمال.

ثم انتقل الموشح من الأندلس الى سيسيلي و توسكاني بايطاليا فعرفه الشعراء الايطاليون باسم "سوّنيت" المشتق من "سوّنو" بمعنى الصوت. و هذا المشتق صيغة تصغير للتحبيب تعني

بمادتها و صيغتها "الأصوات الجميلة"، و من ثم صار علما على الموشح المزدان بأصواته الجميلة. فترجمة الاسم من العربية الى الايطالية إنما هي ترجمة أدبية رفيعة (غير حرفية) تدل على رفعة الذوق عند من ترجموها من الشعراء و على علمهم التام بوجه التسمية في اللغة المترجم منها الاسم. و ايطاليا معروفة بالذوق و الفن و الشعر، و ذانكم اللقبان "الموشح" و"السونيت" في العربية و في الايطالية.

و عصر إذ قامت الموشحات على سوقها في الأندلس المصدر الأصل للسونيتات، و أخذت رشاقتها و زينتها بألباب الناس من كل الجهات، قام إلى جانبها فن من الغناء عرفت مقاماته أيضا بالموشحات تتمايز و تتناغم و تصوّب و تصعّد بين الاوج و القرار. فن من الغناء رفيع لفن من الشعر رفيع، في بلاد حضارة لم تدع شأوا لمستبق و لا مرقى لمستنم، و لا حكرا في العلم و الأدب لصاحب مال أو نافذ كلم.

على أن الموشح غناء و شعرا ما كان الفن المزدوج الوحيد أبدعه الذواقة الاندلسيون. فلقد أبدعوا "الزجل" أيضا. فلننظر في ذلك الى ما يقول العلامة ابن خلدون في "المقدمة":-

"لما شاع التوشيح في أهل الاندلس و أخذ به الجمهور لسلاسته و تنميق كلامه و تصريع أجزائه نسجت العامة من

أهل الأمصار على منواله و نظموا في طريقته بلغتهم الحضرية [العامية] من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، فاستحدثوا فنا سموه "بالزجل"، و التزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاؤنا فيه بالغرائب و اتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجبة. و أول من أبدع هذه الطريقة الزجلية أبوبكر بن قزمان، و إن كانت قيلت قبله كما سبق القول»
بقي أن نعلم أن ابن قزمان عاش في النصف الأول من القرن الميلادي الثاني عشر فتوفي سنة ١١٦٠، و أن ابن خلدون من علماء القرن الميلادي الرابع عشر اذ كان مولده عام ١٣٣٢.

و كل واحد من الفنين وجد طريقه في حينه إلى سيسيلي بايطاليا. أما الموشح فأثر تأثيرا بليغا في شعراء ذلك الصقع في القرن الميلادي الثالث عشر و قبله؛ و من سيسيلي انتشر إلى توسكاني حيث بلغ أوجه الأدبي باللغة الايطالية، في القرن الرابع عشر، في سونيتات الشاعر الكبير "بيترارك" الذي نظم ثلاثمائة و سبع عشرة سونيتة جمعها في ديوان لقبه بـ "كانتز يونيرى" (ديوان الاغاني). و من هذا الديوان انتشر السونيت الى أرجاء اوروبا. هذا هو شأن الفن الفصيح. أما الفن الدارج "الزجل" فقد تلقفه في سيسيلي ذاتها المطربون الريفيون الذين عرفوا بلقب "ترُوبادُور". فهؤلاء، كالمطربين الريفيين اليوم عندنا، كانوا ينظمون لأنفسهم شعرا

يطربون به . و كانوا ينظمون بلهجة أو لغة عرفت بـ "پروڤانسال"، و هي المعروفة في عصرنا باسم "رۆمانيش" يتخاطب بها قلة تسكن أقاصي سويسرا . فاذا كان القرن الرابع عشر عصر ازدهار للشعر الايطالي فانه قد كان عصر انحطاط للانكليزية لغة و شعرا . فالسونيت الشيكسپيري في القرن السادس عشر مدين أيّما دين للسونيت الايطالي و الموشح الأندلسي .

و في ما قدمنا آنفا الكفاية و الغنية لكل منصف متبصر يقصد الى الوقائع و الحقائق ليميز الجداول عن الينابيع في أمثال هذه الشؤون الأدبية و العلمية المتصلة بتأريخ الحضارة الاسلامية في الشرق و في الغرب و تأريخ اوروپا في عصورها الوسطى و تأريخ النهضة الاوروپية الحديثة .

• • •

لكن كل ما قدمنا لا يكفي على غناه لتبصير مسلمين يستبعدون أن تكون آوروپا اليوم قد أخذت من حضارة أمس الاسلامية شيئا . فالكثرة الكاثرة من مسلمي اليوم في أوطانهم الممزقة قد نسوا حضارتهم نسيانا يكاد يكون تاما . وهم - وما أكثرهم - تتنازعهم غاشيتا الجمود و الجحود . فيا ويح ناس لا يعون من حضارة الاسلام شيئا إلا أنها شئ من صلاة و صوم و مجلس فاتحة ليس إلاّ . و يا ويح ناس لا يظنون حضارة

الاسلام إلا شيئا باليا معدوم الجدوى متى قورن بالحضارة الاوروبية المعاصرة المسيطرة . لكن هؤلا و هؤلاء هم الكثرة الكاثرة و هم كغثاء السيل ، و كاتب هذه المقدمة ليس يرى محيدا عن الاستشهاد بقول ابن الرومي :-

إني لأفتح عيني حين أفتحها
على كثير و لكن لا أرى أحدا .

فلأبتدع أنا أيضا بدعة بأن اكتب لمن لا أرى بضعة مباسط تردهم عن غيهم على قدر تعلق الشأن بالسونيت و الموشح . و اني كاتبها هنا جامعا فيها على وجد الاقتضاب حقائق ليس يملك إنكارها مثقف حانت منه إلمامة بتأريخ الأدب و العلم في الحضارتين الاسلامية و الاوروبية :-

١ : خلال عامين من أوائل القرن الميلادي الثامن (٧١١ - ٧١٣) تم الفتح الاسلامي في اسپانيا ، فهزم الملك رودريك و دخل طارق بن زياد مدينة "طليطلة" و مضى موسى بن نصير حتى جبال "الپيرينى" . بذلك تم فتح شرائع انسابت منها العلم و الحكمة و الادب و القانون من الحضارة الجديدة الى ربوع من اوروپا كانت من قبل كآوروپا جميعها غارقة في دياجي التخلف و الجهل . هٰهنا ترعرعت الحضارة الاسلامية

وصارت الاندلس منبع الخير و مركز الاشعاع . لم تكن اللغة الانكليزية موجودة على وجه الأرض في ذلك الزمان .

٢ : في أوائل القرن الميلادي التاسع فتح الأغالبة التونسيون سيسيلي في ايطاليا ، فامتد اليها الحكم الاسلامي المباشر ، و حيثما امتد امتدت الحضارة الاسلامية و علومها و آدابها . و لما تكن اللغة الانكليزية المعروفة موجودة بعد على وجه الأرض .

٣ : أول شعراء الأندلس من مبدعي الموشح هو مقدم بن معافر من شعراء بلاط الأمير عبدالله بن محمد . و مقدم هو من شعراء القرن الهجري الثالث ، أي القرن الميلادي التاسع ، يوم لم تكن اللغة الانكليزية المعروفة اليوم قد وجدت على وجه الأرض بعد . و عنه أخذ الموشح ابن عبد ربه الاندلسي ، صاحب "العقد الفريد" (المتوفى سنة ٩٤٠ الميلادية) ، رئيس الادباء في بلاط عبدالرحمن الثالث . و إن ممن برعوا بين شعراء الموشحات عبادة القزاز في القرن الرابع الهجري .

٤ : ظلت أعلام الحكم الاسلامي ترفرف على ربوع الأندلس الزاهرة حتى أواخر القرن الميلادي الخامس عشر - ١٤٩٢ . و في هذا القرن بدأ النثر يوجد باللغة الانكليزية في كتاب للسير توماس مالوري . و في القرن الذي قبله وجد شيء من

الشعر لچوسر و قبيله لمجهولين. وما قبل هذا التأريخ وجدت اللغة الانكلوسكسونية، و هذه أقرب أصل للانكليزية المعروفة لكنها تختلف عنه اختلاف اللغة الالمانية عن الانكليزية اليوم. و في هذا القرن الخامس عشر ذاته كانت علوم الطب تدرس بانكلترا في الكتب العربية أو العربية المترجمة الى اللاتينية؛ وما كانت الانكليزية قد غدت لغة انتقال الآداب و العلوم. أجل، أزيلت تلكم الأعلام الرفرافة في آخر القرن، لكن بقيت أنوار الحضارة الاسلامية الأندلسية تمد خطوط الشعاع إلى الجزر البريطانية و أرجاء القارة الاوروبية بأسرها. و أنت ترى مما تقدم أن الفاصل الزماني بين الأوائل من شعراء الموشحات الأندلسيين و بين شيكسپير و معاصريه من ناظمي الموشحات بالانكليزية يمتد نحوا من سبعمائة عام من الازدهار الحضاري و الأدبي في الأندلس و التخلف و الجهل في الجزر البريطانية - ولاسيما الفتره بين چوسر (١٣٤٠؟-١٤٠٠) و شيكسپير (١٥٦٤-١٦١٦) بالنسبة للأدب.

٥: فلننظر الآن ماذا جرى خلال تلكم السبعة القرون على قدر تعلق الحال بالأدب و الشعر. وههنا لست أريد أن أكون أنا المتكلم، بل استاذ في القرن العشرين في جامعة "كمبرج" اشتهر كتابه في تأريخ الأدب العربي. يقول الاستاذ نيكلسن في كتابه (الذي سنذكر تفصيله بعد صفحات):

أ- "بعد أن مد الفاتحون فتوحاتهم الى أرجاء شبه الجزيرة [الاسپانية] كلها وقع تحت أيديهم الآلاف المؤلفة من المسيحيين ... و قد عوملوا بالحسنى من الحكومة، وتمتعوا بالحرية الدينية ، و كثيراما ارتقوا الى مناصب عليا في الجيش و في البلاط". (ص ٤١٤) .

ب- وما اقتصر انسياب الحضارة الاسلامية و آدابها على اسپانيا و ايطاليا ، بل عم أرجاء أخرى من القارة الاوروبية كالبرتغال مثلا. يروي الاستاذ نيكلسن عن القزويني من محامد مدينة "سِلْف" بالبرتغال في تلكم العصور "الواقع الذي رواه كثيرون لا يحصون أن القوم العايشين هنالك - غير جد قليل من المستثنين - هم من ناظمي الشعر [بالعربية] و من محبي الأدب المنثور، و أنك إذا مررت [هنالك] بأي فلاح واقف خلف محراثه و رجوته أن ينشدك شيئا من الشعر فانه ينساق فورا الى الانشاد في أيّما موضوع تريده أنت". (ص ٤١٦) . و قد جمع "فون شالك" جملة طيبة من الشعر العربي في اسپانيا و سيسيلي في كتابه المطبوع في شتوتگارت عام ١٨٧٧ .

ج- "القرن الميلادي العاشر عصر غنى مرموق في تأريخ اسپانيا. ففي عهد عبدالرحمن الثالث و خلفه الحكم الثاني ... عكف الشعب كله بجهوده الموحدة على التقدم في ثقافته المادية و العلمية و أسس [الحكم] مكتبة

قوامها ...٤٠٠ أربعمائة ألف مخطوطة ... و سخاؤه للعلماء كانت لا تعرف حدودا . فقد أهدى أبا الفرج الإصفهاني ألف دينار [ذهب] ليحصل هو على النسخة الاولى المستنسخة من كتابه "الأغاني"... و قد اتخذ الحكم الوسائل اللازمة لنشر نعمة التربية و التعليم و إيصالها إلى أفقر الناس من رعاياه . و لأجل ذلك أسس سبعا و عشرين مدرسة مجانية... كان هو يدفع رواتب مدرسيها من ماله الخاص. و حينما كانت البقايا الباقية من التعليم في اوروپا المسيحية منحصرة بين رجال الكنيسة كان كل انسان في اسپانيا على الأغلب الأعم يقرأ و يكتب... و كانت جامعة قرطبة في ذلك الوقت واحدة من أعظم الجامعات في العالم . " (ص ٤١٩ - ٤٢٠) .

" و مجمل القول أن عبد الرحمن الثالث قد استطاع أن يجعل المسلمين الاسپانيين امة واحدة، و انشأ من العرب و من الأسپان [مسلمين و نصارى] شعبا أندلسيا متحدا تقدم - كما نرى هنا - تقدما بالغ السرعة الى شأو عال من الثقافة كانت تحسدها اوروپا كلها و لا تتجاوزها أي دولة معاصرة في الشرق المسلم". (ص ٤١٢) . و قد حكم عبد الرحمن الثالث قرابة نصف قرن من أوائل القرن الميلادي العاشر .

هـ- " و كثير منهم [من الأسپان المسيحيين] تغلغلت فيهم

الحضارة الاسلامية إلى حد جعل "ألفارو"، مطران قرطبة، يبكّر بالتشكي في القرن الميلادي التاسع من أن إخوانه في الدين يقرأون شعر العرب و غرامياتهم ، و يدرسون كتب علماء الكلام و الفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليهم، بل ليتعلموا كيف يعبّرون عما في ضمائرهم تعبيرا صحيحا و أنيقا. يقول المطران : "أين يجد أحد منا اليوم رجلا من الناس يقرأ الشروح اللاتينية للكتب المقدسة [الاناجيل]؟ هيهات ، فكل الشبان المسيحيين النابهين مصروفو الهمة إلى لغة العرب و مؤلفاتهم ؛ فهم يقرأون و يتدارسون الكتب العربية شغوفين بها أعظم شغف ، و يصرفون أموالا طائلة في جمعها لمكتباتهم الخاصة ، و يصرحون في كل صقع بأن هذا أدب رائع. فاذا حدثتهم من جانب آخر عن الكتب المسيحية فانهم يجيبون جوابا ينمّ عن المقت بأن هذه الكتب لا تستأهل اهتمامهم. وا أسفاه، لقد نسي المسيحيون لغتهم [يعني اللاتينية لغة دينهم]، فبين آلاف من الأنفس منا يندر أن يعثر على واحد قادر أن يكتب رسالة لاتينية مقبولة الى صديق ؛ ذلك في حين أن كثرة كاثرة منهم هم قادرون على الإفصاح عن أنفسهم بالعربية إفصاحا ممتازا ، و على قرض الشعر بهذا اللسان متفننين فيه أكثر من العرب أنفسهم".

(ص ٤١٥).

٦: و الآن إلى سيسيلي بايطاليا ، حيث مضى السونيت - كما أسلفنا - ثم سرى الى توسكاني ليترعرع في "ديوان الأغاني" لپيترارك باللغة الايطالية. أظلت الحضارة الاسلامية ربوع سيسيلي ؛ و دام فيها الحكم الاسلامي ثلاثة قرون ؛ ثم انتهى الحكم و دامت الحضارة. فلنستمع الى الاستاذ نيكلسن كيف يقول : "أسپانيا لم تكن الموضع الوحيد الذي بسطت فيه ثقافة الاسلام نفسها على الاراضي المسيحية. فسيسيلي قد استولي عليها ... منذ اوائل القرن [الميلادي] التاسع ، و هذه الجزيرة و إن وقعت في أيدي "النورمان" سنة ١٠٧١ [الميلادية] فإن بلاط "پاليرمو" قد بقي محتفظا بطابعه شبه الشرقي. ههنا ، في عهد فريدريك الثاني من اسرة "هوهنشتافن" [المالكة] (١١٩٤ - ١٢٥٠م) كان مازال يرى علماء نجوم من بغداد بلحاهم الطويلة و جببهم الفضفاضة ... و فريدريك نفسه و ابنه مانفريد كانا من محبي الأدب العربي المتحمسين و كانا يستهزئان بالمجتمعات المسيحية ... لما أوليا من الإهتمام بفلسفة المسلمين و علومهم. و تحت رعايتهما مدت العلوم العربية الى المدن المجاورة في ايطاليا السفلى". (ص ٤٤١) .

و إنه لمن شعراء هذا البلاط العامر بالأدب العربي كان أن انساب الموشح السونيت الى توسكاني في القرن

الميلادي الثالث عشر فالى الشاعر الايطالي پيترارك بعد قليل

٧: و خلال الأزمن التي نشير إليها في البحث عن عمر السونيت كانت ايطاليا قبل كل القارة الاوروپية واقعة في نطاق الاشعاع العلمي و الأدبي للحضارة الاسلامية. فههنا كانت المدرسة الفكرية الآڤيرۆسية للفلسفة و الفكر و الطب. و ههنا في مدينة "پادڤا" بالشمال الايطالي اسست على دعائم التربية الجامعية الآڤيرۆسية أقدم جامعة باوروپا هي "جامعة پادڤا". و آڤيرۆس هذا إنما هو المجتهد الفيلسوف الطبيب العلامة ابن رشد الحفيد الأندلسي. ولا تزال جامعة پادڤا تمنح الشهادات العلمية على منهج الجامعات الاسلامية - إجازة علمية واحدة هي الشهادة العالية و العليا في علوم الاختصاص و اسمها "لاوْرِيا". بيد أن هذه ماكانت الجامعة الوحيدة التي اقتبست مناهجها من الجامعات الاسلامية بالاندلس. فجامعات پاريس و مومپلييْ في فرنسا، و كيْمبرج و اوكسفورد في انگلترا، كل هذه قد اسست على طراز الجامعات الاسلامية و نظمها.

و لعل التذكرة أن تكون نافعة هنا بأن الأساطيل البحرية الاسلامية الحربية و التجارية خلال تلكم الأزمن كانت تمخر عبب البحر الأبيض المتوسط في الشرق و في الغرب؛ وأن

الجيوش الاسلامية أينما ذهبت فتحت جداول العلم و الحكمة و القانون و الآداب - و لذلك سميت انتصاراتها بالفتوحات ؛ و أن المسلمين في القرن الميلادي العاشر دخلوا "جنوب فرنسا من خليج "سان تروپي" و انتشروا في "پروڤانس" و "دوڤيني". و في سنة ٩٠٦م اخترقوا جبال "دوڤيني" ثم عبروا جبل "سنيس" و احتلوا "بيومون" و "ليجوريا" و توغلوا في سويسرا حتى بحيرة "كونستانس"... و استولوا في فرنسا على "فريجوس" و مارسيليا و "جرينوبل"." (راجع تأريخ الاندلس الذي سيأتي ذكره ص ١٠٢ - ١٠٣) . و في عهد عبد الرحمن الناصر وصلت عظمة الدولة الاسلامية الاندلسية و هيبتها في نفوس ملوك الدول النصرانية أن تملقه الامپراطور الروماني قسطنطين السابع و الپاپا جون الثاني عشر و ملوك المانيا و فرنسا و ليون ، فأرسلوا اليه الوفود و الهدايا الثمينة طلبا للمهادنة و التحالف و السلام . (المصدر السابق ص ١٣٥ - ١٤٠).

و لعل التذكرة أن تكون نافعة أيضا بما في تأريخ النهضة الاوروپية الحديثة من أنها ابتدأت من ايطاليا ثم انتشرت إلى أصقاع اوروپا الاخرى . و قد مرّ عليك ما اقتضبناه من تأثير حضارة الاسلام و الاندلس في حياة ايطاليا . فما كان من الصدفة في شيء أن بدأت النهضة الاوروپية الحديثة من ايطاليا بلد الموشحات الايطالية .

٨ : و في القرن الميلادي الرابع عشر كان علمان بارزان ينظمان الموشحات على الارض الاوروبية - أحدهما بالعربية و الآخر بالايطالية، أولهما مسلم و الثاني مسيحي ففي غرناطة كان الوزير العالم الأديب الشاعر لسان الدين ابن الخطيب يجود بموشحاته التي بلغت ذروة من الرقة و الدقة و الكمال و الجمال . و في توسكاني كان شاعر الحب الكبير پيترارك يتغنى بحبيبه " لورا " الجميلة في موشحاته البارعة التي أشرنا اليها قبل صفحات . و لربما كنا نجد اليوم بين أيدينا سونيتات باللغة العربية نظمها اسپانيون و ايطاليون ، مسلمون و مسيحيون من غرناطة و پاليرمو ، لولا أن كارثة عابثة حلت بتلك المكتبة العظيمة التي سلف ذكرها في الفقرة ٥-ج. فبعد سقوط الاندلس عند ختام القرن الميلادي الخامس عشر أمر الپاترپارك المعظم زيمينيز بحرق تلك الخزينة الحضارية النادرة ، بل - كما يقول الاستاذ نيكلسن - "أحدث ألعابا نارية من كل مخطوطة عربية وصلت اليها يده ". (ص ٤٢٥) .

و يجمل هنا ذكر أن الزينة المتوخاة من فن الموشح تصحبها الحرية في اختيار القوافي و الروي ، و لذلك يتسنى للشاعر التفنن في بناء الموشحة و تنظيمها . أما طول نفس الشاعر البارع و قصره في الموشحات فمحكومان بدرجات فقر اللغة و غناها التي ينظم فيها الموشح . فاذا كانت اللغة سخية بالمتجانسات الصوتية طالت أنفاس شاعرها ؛

وإذا كانت شحيحة بها قصرت الأنفاس . انظر الى اللغات الثلاث التي سميناها آنفا تجد العربية أغناها و الانكليزية أفقرها و الايطالية بينهما . و من ههنا أمكن في العربية أن تتجاوز الموشحة عشرين بل أربعين بيتا (أي أربعين بل ثمانين مصراعا) ، و ما أمكن مثل ذلك النفس الطويل في اللغتين الاخريين . لقد تجددت الموشحة في كل منهما بحدود نحو من أربعة عشر مصراعا على الأغلب أي سبعة أبيات . و الموشحة التي استشهدت بمطلعها قبل صفحات ، و هي للسان الدين ابن الخطيب الأندلسي، قد بلغت اربعة و اربعين بيتا . و يجدر الاستشهاد في هذا الموضع بشعر شاب ناشئ في مراحل الدراسة ما قبل الجامعية ، أي في سن ليس يتوفر عندها خزين المفردات اللغوية و لا اقتدار الصنعة و التفنن عند الناظم ؛ فراجع الملحق الأول للكتاب الذي بين يديك تجد نص موشحة تبلغ اثنين و عشرين بيتا (أي اربعة و اربعين مصراعا) لكاتب هذه المقدمة حين كان في مثل تلك السن . و الفضل في ذلك للغة الموشح .

و بيترارك أطول نفسا من شيكسپير ، إن لم يكن في مجموع عدد المصاريع ففي التفنن في الروي المتناوب و الالتزام به في أكثر من مصراعين مصراعين . أما

شيكسپير فقد استقر في موشحاته على بناء الموشحة من ثلاث "نُتَف" مختلفات القافية و الرويّ، لكن كل نتفة هي متناوبة الروي في مصاريعها الأربعة - اثنين اثنين؛ وتختم الموشحة "بفرد يتيم". فأما الموشحات العربية فالغالب فيها مطلع من نتفة تماثلها النتفة الانكليزية، وتعقب المطلع قطعة سداسية المصاريع متناوبة الروي تماثلها السداسية الپيترِاركية، و تلي هذه نتفة اخرى تلتزم بروي المطلع، فقطعة اخرى ذات روي متناوب مختلف، و هكذا الى أن تختم الموشحة بنتفة تامة و ليس بفرد يتيم. ولا حاجة الى مزيد تصوير، فراجع الموشحات الشيكسپيرية المترجمة هنا ثم راجع الموشحة العربية التي في الملحق الاول تتبين لك صورة الطريقتين. لقد كان شيكسپير ذكيا، فاختار النمط المتناســب مع فقر لغته في التجانس الصوتي؛ وهو فقر مفروض باسباب تأريخية و غير قابل لعلاج؛ ولا متسع في هذه المقدمة لتفصيل ذلك - على ما لا يخفى.

٩: و شهد شاهد من أهلها. فاليك أسوق ههنا ما تعترف به دائرة المعارف البريطانية ("ذ نيو آنسايكلوپيديا بريتانيكا"، ج ٩، طبعة ١٩٧٤) من الحقائق التي أسلفناها لك. إنها تقول :-

أ- ادخل "السونيت" في الشعر الانكليزي في القرن السادس عشر، و لايزال يجتذب الشعراء.

ب- يمتاز "السونيت" بين أنماط الشعر بأنه ظل في الأدب الغربي يجتذب كبار الشعراء طوال خمسة قرون.

ج- بلغ السونيت كماله الفني في القرن الرابع عشر في شعر الشاعر الايطالي "پيترارك". و السونيت الپيترارکي هو مصدر التأثير على الشعر الاوروپي كله، حيث انتشر إلى فرنسا و پولندا و البرتغال و من پولندا الى اللغات السلافية.

د- يرجع تأريخ السونيت إلى "سيسيلي" بايطاليا في القرن الميلادي الثالث عشر، حيث ظهر بين المعروفين "بشعراء البلاط". ومن سيسيلي انتشر الى توسكاني و پيترارك.

هـ- كانت السونيتات في البداية قصائد حب و غزل، ثم انتشرت على سائر الموضوعات و منها الدين و السياسة.

و- لأجل ترتيب النمط الايطالي بحيث يتلاءم مع اللغة الانكليزية الأقل غنى من الايطالية في الروي، إتبع شعراء الانكليزية نظم السونيتة على شكل ثلاث رباعيات متناوبات الروي و خاتمة بمصراعين مختلفي الروي عن الرباعيات.

ز- كان شعراء البلاط في سيسيلي قد تأثروا "بالتروبادور" الذين كانوا يغنون أشعار الغرام بلغة "پروڤانسال".

و هذا ختام ما نقل من دائرة المعارف البريطانيه .

و تلكم الفقرات من المعلومات صحيحة إلا ما ورد في الفقرة الأخيرة من تأثر شعراء بلاط "پاليرمو" "بالتروبادور". فهؤلاء الأخيرون إنما كانوا قد أخذوا "الزجل"، و هو و الموشح فنان أندلسيان - كما بينا آنفا - لكن أولهما للغة الدارجة و الآخر للفصحى و لغة الأدب الرفيع . فالذهاب الى تأثر شعراء سيسيلي بالزجالين في فن الموشحات إنما هو قول مثير للضحك، كشأن زيد من الناس يقول : إن الشعراء الكبار أحمد شوقي و معروف الرصافي و الأخطل الصغير (بشارة الخوري) إنما تعلموا فن القصيد من المطربين الريفيين العراقيين عبد الأمير الطويرجاوي و حضيري أبو عزيز !

• • •

ثم ههنا أمران آخران يستحقان أسطرا من البيان . أولهما أن الشعري من الجرس والنغم و الايقاع أوفر في الموشح العربي منه في الموشح الانكليزي . و لذلك سببان . أحدهما ما بيناه آنفا من واقعي الفقر و الغنى بين اللغتين في المتجانسات و المتساوقات الصوتية . و السبب الآخر إخضاع الشعر الانكليزي "للعروض" اللاتيني .

بلغ الشعر العربي أوجا من الكمال و الاتقان ثم استقرئت قواعد عروضه من داخله - كما صنع الخليل بن أحمد بالنسبة لأكثر بحوره، و الأخفش بالنسبة لبحر المتدارك. و ليس باب الاستقراء هذا موصدا.

و الشعر الانكليزي حين بدأ يوجد سرعانما أخضع لميزان الأقدام اللاتيني و الاغريقي - و هتان اللغتان تختلفان عن الانكليزية من حيث الاصول و المصادر، و إن كانت مفرداتهما قد دخلت الانكليزية.

على أني أعتقد أن الشعر في الانكليزية يمكن تحريره من موازين الاقدام، المثبطة أحيانا انسياب النغمة الصوتية الشعرية، الى موازين القطع و الاوصال المساعدة لهذا الانسياب. أقول اعتقد إمكان هذا التحرير لأني وجدت عند بعض الشعراء الانكليز بعض الشعر المنساب على نغم القطع و الأوصال، مثل قصيدة مشهورة للشاعر المجيد "لورد بايرن" أثبت نصها في الملحق الثاني لهذا الكتاب، ولان الشاعر الكبير "لورد ألفريد تنيسون" قد نظم على أوزان "بحر الطويل" وحاول نقل البحور العربية الأخرى الى العروض الانكليزي.

أما الأمر الثاني الذي قلنا يستحق بيانا فهو ذكر مصادر يتسنى الرجوع اليها في مضامين ما أسلفنا في هذه المقدمة - و ان كان ما اخترنا للعرض حقائق معروفة للمطلعين في هذا المجال. و يفي بذلك الهامش الموصول بهذا المكان. ⊛

• • •

⊛ راجع :-

- "تأريخ العرب في أسبانيا - تأريخ الاندلس" للاستاذ محمد عبدالله عنان، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٢٤؛ ولاسيما الصفحات : ١٣٥ - ١٤٣، ٢٠٥ - ٢١٣ .
- "الحرية الجامعية"، عبدالله مصطفى، مطابع التعليم العالي - الموصل ١٩٨٩.
- "مجمع الأشتات"، عبدالله مصطفى، مطابع التعليم العالي - الموصل ١٩٨٩.
- "المقدمة"، العلامة ابن خلدون، القاهرة ولاسيما الصفحة : ٥١٩ .
- "ميزان الذهب"، للاستاذ السيد أحمد الهاشمي، بغداد ١٩٧٩؛ الصفحات : ١٤٤، ١٤٦ - ١٥٢ .

كل ذلك . على أني أشتم طيّ الموشح عَرفا لا أكيّفه في الغوالي و لا في الزُهَر ، عطرا من الفردوس الأعلى لا من ثرى الكوكب الأغبر . أشتم أنسام "طيبة" يوم إذ وضع الأساس الأمثل لدولة الاسلام الاولى و حضارته العظمى و دينه المرتضى المكمّل . و إني إذ أشمّ لأكاد أسمع أصواتا تشنّف تترجع تصدح و تتهجّع . إنها أنغام الصبايا و الصبيان في "طيبة" يتقدمهم الأصناء من أبناء النجار يستقبلون مع الآباء و الامهات جميعا هذا النور الذي أجادوا لاستقبال طلعته هذه النفحات :-

أشرقت أنوار أحمدْ
و اختفت منها البدورْ
يا محمّدْ يا ممجّدْ
أنت نور فوق نورْ

طلع البدر علينا	من ثنيّات الوداعْ
وجب الشكر لدينا	ما دعا للّه داعْ
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاعْ .

فهل هذه النفحات الشعرية المنسقة غير فنّ الموشحات ؟ و هل كان في شعراء الأندلس من لم يقرأ

سيرة خاتم النبيين و يستنشق هذا العطر المبين ؟!
الأمر بيّن ، لكني أترك للقارئ أن يحكم . و صلى الله تعالى و سلّم على الانبياء و المرسلين . و خاتم الرسل الأمين و آله و أصحابه الطيبين الموشحين .

• • •

و لنختتم هذه المقدمة بملاحظات لابد منها :-

الاولى : أن التي ستطالعك هي ترجمة أدبية أبت أن تتوقع في كلمات من قواميس . لكن مع ذلك ألصق بالأصل من الترجمات الحرفية ، و أتم إفصاحا عن معانيه و مراميه، و أوضح تصويرا لمحاسنه و أخيلته الشعرية .

و الثانية : أنا اعتمدنا لضبط نصوص السونيتات على نسخة " أعمال شيكسپير الكاملة " التي قدم لها " سانت جوْن ايرْڤن " عام ١٩٢٣م ، و طبعت في هولندا ، و نشرتها "كوْلينز ". ذلك لأنها نسخة مقروءة و مصححة. و الأرقام التي تتصدر الترجمة العربية تشير الى تسلسل السونيتات كما تتعاقب هنا. أما الأرقام الروْمانية التي تتصدر الأصل الانكليزي فإنها تشير الى تسلسل السونيتات في تلك النسخة .

و الثالثة : أنا اخترنا لترجمة كل سونيتة وزنا من نغم الشعر ملائما لابراز جمالها الشعري . لكنا لم نتزمت

في التقييد بالبحور المعروفة في الشعر العربي ، بل جمعنا أحيانا بين تفعيلات من بحرين متمايزين . أما الموشح فقد امتاز مع ذلك بالسلامة من النشاز و الانحلال ، و بالامتاع و التشنيف بجرسه النغمي المنساب في أبياته و في مجموع القصيد . أي إذا كان هنالك من تجوّز أو تجاوز فان ذلك إنما هو شرود الى ما هو أفضل و أبدع . فاذا أحببت مزيدا منه فاقرأ فصل "الشوارد" من ديوان "نفحات الحياة".

و الرابعة : أن الكلم الاعجمية الواردة في هذه المقدمة قد رسمت بالحروف العربية مكان اللاتينية لسببين. أحدهما تحاشي مصاعب في الإعداد للطبع . و الثاني وفاء الحروف العربية ببيان أصوات تلكم الكلم ، كشأن هذه الحروف دائما - و لاسيما مع الاستعانة برمز الامالة و الانفتاح "٧" تلك التي كان "المجمع العلمي الكردي" قد وضعها للغة الكردية بين مجموعة اللغات الاسلامية . و قد تقدم اليك الرمز و إن تأخر هذا البيان .

• • •

ثم إذا كانت هذه المقدمة تنير في العقل مرابع البحث عن أوضاع الشعر و الأدب ، و هذه الترجمة الشعرية تثير في القلب نوابض الاحساس بالحب و الجمال ،

فقد بلغ صاحبهما ما أراد من الإحسان الى بني الانسان
باتحاف بصائرهم بهذه الكلم الحسان .

تلك البصيرة فانشد من لوامعها
ما لم يكن قبل منظورا و مكتتبا

او أفنَ بالحب كي تبقى بخالده
إن الجمال لمن كأس الهوى شربا

ع . م .

السونيتات

(1)

Tow loves I have of comfort and despair ,
Which like two spirits do suggest me still ,
The better angel is a man right fair ,
The worser spirit a woman , colour'd ill.

To win me soon to hell, my female evil
Tempteth my better angel from my side ,
And would corrupt my saint to be a devil ,
Wooing his purity with her foul pride ,

And whether that my angel be turn'd fiend ,
Suspect I may , yet not directly tell ,
But , being both from me , both to each friend
I guess one angel in another's hell.

Yet this shall I ne'er know, but live in doubt
Till my bad angel fire my good one out.

(١)

لي حبيبان وديع و تعيشْ
مثل روحين الينا يوحيانْ
ذا فتى أشقر أو ملْكٌ أنيسْ
و ذِه إمرأة سـوداء قانْ (١)

يا لانثى دفعتني للجحيمْ
و هي ترمي بملاكي للنوى
ليتما القديس شيطان رجيمْ
و هي تغريه بآثام الهوى

هل تُرى وحشا ملاكي إنقلبْ
يتراءى لي و لا أقضي بحقْ
و هما عن فُرقتي في مصطحب
كل ملْكٌ بلظى الثاني احترق

ضِلّة في الشك حتى أنظُرا
خيرَ ملكي شرَّ ملكي هجرا

---

(١) قدمنا لهذه السونيتة لأنها كالمقدمة بيانا لموضوعي البحث في السونيتات جلّها - الحبيبين المصرح بهما . و الملْك ملَك خفف لفظه لوزن الشعر . و « قانْ » أي قانٍ سوادها. وسترقم الهوامش برقم السونيت .

Shall I compare thee to a summer's day ?
Thou art more lovely and more temperate:
Rough winds do shake the darling buds of May,
And summer's lease hath all too short a date:

Sometime too hot the eye of heaven shines,
And often is his gold complexion dimm'd,
And every fair from fair sometime declines
By chance, or nature's changing course,untrimm'd,

But thy eternal summer shall not fade,
Nor lose possession of that fair thou owest,
Nor shall Death brag thou wander'st in his shade,
When in eternal lines to time thou growest,

So long as men can breathe, or eyes can see,
So long lives this, and this gives life to thee.

(٢)

بيوم الصيف أقسوا إن أنا شبّهت سيماكا
فأنت أنت أسنى منه في خَلْق و في خُلْق

و ريح الصيف يغزو برعما أيّار قد زاكى
و عمر الصيف ممنوٌّ قصير العهد للخَلق

سماء الصيف قد تصفو تشع عينها حرّا
و يخبو وجهها التبرىّ دوما خلف سحبان
وعن ذي الحسن للحسن اعْتيادُ الفُرقة الحرّى
بنقص ليس في الحسبان أو نقص بحسبان

فأما صيفك الباقي فلا يعروه إجحاف
و لا النقصان من زهوٍ حياه من محيّاكا
و ظلّ الموت ما يزهيه قطّ منك تطواف
إذاما عشت في شعر على الأزمان حيّاكا

فمهما يبق إنسان يرى يستنشق الرندا
فشعري خالد يعطيك من أنفاسه الخلدا

---

(٢) لهذا السونيت الرائع لهو "البديع الفرد" من شعر شيكسبير. و قد أولينا ترجمته وزنا راقصا، لتشترك النغمة مع الألفاظ في إظهار تلك الروعة. و كلمة "الرند" في المقطع مضافة ليست من الأصل، لكنها تزيد الترجمة جمالا - كما هو ظاهر.

Devouring Time, blunt thou the lion's paws,
And make the earth devour her own swet brood,
Pluck the keen teeth from the fierce tiger's jaw;
And burn the long-liv'd phoenix in her blood

Make glad and sorry seasons, as thou fleets,
And do whate'er thou wilt, swift-footed Time
To the wide world, and all her fading sweets
But I forbid thee one most heinous crime:

O carve not with thy hours my love's fair brow
Nor draw no lines there with thine antique pen
Him in thy course untainted do allow,
For beauty's pattern to succeeding men.

Yet, do thy worst, old Time: despite thy wrong
My love shall in my verse ever live young.

أيها الدهر المُعَنّي موّت أنياب الليوث
و اجعل الأرضين تبلع كل حِبّ من بنيها

و اقلع الأنياب من فلك النمور المستليث
و احرق العنقاء ألهب من دماها النار فيها

و اجْرِ بالبؤس و بالنعمى فصولا حيث تجري
و اصنع التهواه دوما أيها الدهر الحثيث

بوسيع الكون أو كلّ جميل فيه تفري :
و ارتدع ، أنهاك ، عن جُرم هو الإثم الخبيث

لا تدَع إزميل ساعاتك تنحت وجه حِبي
ويح لا تخطط بمعتاق يراعيك عليه

ذره في مسراك في لألائه الصافي كحُبي
آية الأجيال للحسن الذي في وجنتيه :

بل أسئ فعلا ألا يا أيها الدهر القديم
فعلى الرغم شباب الخِلّ في شعري يقيم

(4)

Not marble, nor the gilded monuments
Of princes, shall outlive this powerful rhyme;
But you shall shine more bright in these contents
Than unswept stone, besmear'd with sluttish time.

When wasteful war shall statues overturn,
And broils root out the work of masonry,
Nor Mars his sword nor war's quick fire shall burn
The living record of your memory.

'Gainst death and all-oblivious enmity
Shall you pace forth; your praise shall still find room,
Even in the eyes of all posterity
That wear this world out to the ending doom.

So, till the judgment that yourself arise,
You live in this, and dwell in lovers' eyes.

(٤)

لا نُصبة الامراء مذهبة و لا ذي المرمر
بالخالدات على الزمان خلود هٰذي القافية

بل أنت تبقى هٰهنا أسنى و وجهك أزهر
من تلكم الأحجار أورثها الزمان النافية

و إذا التماثيلَ الحروب انْستنكست وهي البَلا
و إذا لظى الثورات إقتلعت مشائد دهركم

لا سيف ربّ الحرب "مارس" قادر كلا ولا
لهب الوغى أن يُفنيَ الشعر المُشيد بذكركم

فبرغم أنف الموت و التخريب في الإدراك
ستظل تخطو ناعما بثنائك من أكياس

من كل جيل قادم أو لاحق الإدراك
يتعاقبون بعالم يفنى فناء الناس

فإلى الحساب و يومه المُجْليك للآفاق
تحيى بشعري إذ تكنّك أعين العشاق

(5)

Like as the waves make towards the pebbled shore,
So do our minutes hasten to their end;
Each changing place with that which goes before,
In sequent toil all forwards do contend.

Nativity, once in the main of light,
Crawls to maturity , wherewith being crown'd,
Crooked eclipses 'gainst his glory fight,
And time , that gave, doth now his gift confound

Time doth transfix the flourish set on youth
And delves the parallels in beauty's brow;
Feeds on the rarities of nature's truth,
And nothing stands but for his scythe to mow:

And yet, to times in hope, my verse shall stand
Praising thy worth, despite his cruel hand.

(٥)

موج البحار الى الصفا و الشاطي
متسارع كدقائق الأعمار
متلاحقات الجري في الأوساط
يسبقن في كد الفناء الساري

و الطفل ما إن شام ضوءَ حياته
إلا حبا صوبَ الشباب يتوّج
و العائقات تضدّ عزة ذاته
فاذا الزمان بما حباه يعوّج

و لكم أدال من الشباب رواءه
هذا الزمان و خطّ طلعة رائع
و استهلك الندرَ البديعَ وراءه
أو ما نما أفنى بمنجل قاطع

و تظل رغم يد الزمان الجارحة
بمد يحكم هذي القصائد صادحة

Since brass, nor stone, nor earth, nor boundless sea,
But sad mortality o'ersways their power,
How with this rage shall beauty hold a plea,
Whose action is no stronger than a flower?

O, how shall summer's honey breath hold out
Against the wreckful siege of battering days,
When rocks impregnable are not so stout,
Nor gates of steel so strong, but time decays

O fearful meditation!Where, alack !
Shall Time's best jewel from Time's chest lie hid
Or what strong hand can hold his swift foot back
Or who his spoil of beauty can forbid ?

O, none, unless this miracle have might,
That in black ink my love may still shine brigt .

لا الصفر لا الاحجار لا البحر المحيط و لا الثرى
تسطيع تصمد ساعةً ما غال محزون الرَّدى

أنّى لوجه الحسن شكوى ضد ذيالك الثَّرى
و هو الضعيف كزهرة ناءت بقطر من ندى

آهٍ و كيف الصيفُ يبقى الشهد من أنفاسه
و مدمّر الايام طوقه بكل مخرِّب

حيث الصخور الصلد لا يبقى على آساسه
كلا و لا الباب الحديد سوى الزمان المعطِب

رحمالِ خائفة الخواطر أين حالَ تَفارق
سيصان جوهرة الزمان فيختفي عن كنزه

هل من يد تصطدّ أقدام الزمان المارق
أو من عسى ينهاه عن هذم الجمال و عزّه

كلا. و لكن البيان بخارق من هذه
يبقى حبيبي في سواد الحبر وضاءً به

Being your slave, what should I do but tend
Upon the hours and times of your desire ?
I have no precious time at all to spend,
Nor services to do, till you require.

Nor dare I chide the world-without-end hour,
Whilst I, my sovereign, watch the clock for you,
Nor think the bitterness of absence sour,
When you have bid your servant once adieu;

Nor dare I question with my jealous thought
Where you may be, or your affairs suppose,
But, like a sad slave, stay and think of nought,
Save, where you are how happy you make those.

So true a fool is love, that in your will
(Though you do anything) he thinks no ill.

أنا عبدكم ماذا عساني أفعل
غيرَ امتثال الوقت في ما ترغب
أنا ليس لي وقت ثمين يَجمُل
أو خدمة اسدي سوى ما تطلب

كلا و لا تأنيبَ ساعات جرت
كالدهر ارقب - مالكي - ماتأمر
أو أن تشاغلني المرارة قد برت
بأسى وداع فيه عبدكَ تهجر

بل لست أجسر في غيور خواطري
وجه اعتراضٍ أين أو ما تصنع
لكن رقيقٌ نافه ، في خاطري
أيّان تسكن أي أُنس تجمع

و كذا الهوى غِرّ ففي مرضاتكم
رغم التمادي لا يضيق بذاتكم

Weary with toil, I haste me to my bed,
The dear repose for limbs with travel tir'd:
But then begins a journey in my head,
To work my mind, when body's work's expir'd:

For then my thoughts (from far where I abide)
Intend a zealous pilgrimage to thee,
And keep my drooping eyelids open wide,
Looking on darkness which the blind do see:

Save that my soul's imaginary sight
Presents thy shadow to my sightless view,
Which, like a jewel hung in ghastly night,
Makes black night beauteous, and her old face new.

Lo, thus, by day my limbs, by night my mind
For thee, and for myself, no quiet find.

(٨)

أسلمتني مكادحي لفراشي
لارْتياح الجوارح التعِبات

فارتحالٍ برأسي المتماشي
يُعمِل الفكرَ بعدما عضلاتْ

ثم ألفي بصيرتي تتحرّى
من بعاد الليلْ يزمع حجّا

تفتح الأجفن التعبات فأعيى
رائيا مثلما الضرير تدجّى

غير أني بباصرات خيالي
طيفكَ النورَ أجتلي بعمائي

و هو كالجوهر المبين يعالي
ظلمةً زانها بضوء بهاء

خاطر الليل و اكتداح صباحي
منكَ أو مِنّيَ انْقطاع مراحي

How can I then return in happy plight,
That am debarr'd the benefit of rest ?
When day's oppression is not eas'd by night,
But day by night and night by day oppress'd?

And each, though enemies to either's reign ,
Do in consent shake hands to torture me,
The one by toil, the other to complain
How far I toil, still farther off from thee.

I tell the day, to please him, thou art bright,
And dost him grace when clouds do blot the heaven:
So flatter I the swart-complexion'd night;
When sparkling stars twire not, thou gild'st the even.

But day doth daily draw my sorrows longer,
And night doth nightly make grief's strength seem stronger.

(٩)

كيف المعاد من الصعاب سعيدا
و لقد حُرِمتُ فوائد الريحان
فالليل لا ينفي الكروب بعيدا
و بها الضحى و الليل يعتقبان

ضدان (محتربان في الغلبات)
يتصافحان رضاً على تعذيبي
هذا بفرط عنا و ذا لشكاتي
وقع الضنى و البعد عنك حبيبي

أُنبي النهارَ بأنك الوضاؤه
و تعزه حين السحاب يُخيّب
و الليلَ اطري أنكم لألاؤه
إذا ما نجومه تختبي و تَغيّب .

و الصبح زاد محازني مهما بدا
و الليل أشجاني الثقال كما ابتدا

---

(٩) الريحان = العيش الطيب و الرزق .

That time of year thou mayst in me behold
When yellow leaves, or none, or few, do hang
Upon those boughs which shake against the cold,
Bare ruin'd choirs, where late the sweet birds sang.

In me thou seest the twilight of such day
As after sunset fadeth in the west,
Which by and by black night doth take away,
Death's second self, that seals up all in rest.

In me thou seest the glowing of such fire,
That on the ashes of his youth doth lie,
As the death-bed whereon it must expire,
Consum'd with that which it was nourish'd by.

This thou perceiv'st which makes thy love more strong,
To love that well which thou must leave ere long.

هلا رعيت الفصل فينا من فصول العام
إذ ليس او إلا القليل و أصفر الاوراق

فوق الغصون تميد من بِرد شديد هامي
و محافلِ الطير المغرّد قبلُ للعشاق

فَيْناً ترى الشفق الحزين لمثل ذاكْ الفصل
شفقا يُبَدّاُ بالتلاشي من غروب الشمس

و يزيله الحلكْ البهيم على مدار الليل
مثل الممات يعم آخرُه الورى اذ يمسي

مِنّي ترى الوهجَ العجيب المصطلى من نار
بقيت على ثبج الرماد من الشباب المّاضي

ثبجٍ كفرش الموت تفنى فوقه بوقار
مهضومة الاوصال مما أنعشت في الماضي

هذا لعمري ما تعي فيحيل حبكْ عارما
كيما تفي بالحب ما أمسى فراقه لازما

---

(١٠) "و محافل الطير" معطوف على الغصون : أي فوق محافل الطير .

As an unperfect actor on the stage,
Who with his fear is put besides his part,
Or some fierce thing replete with too much rage,
Whose strength's abundance weakens his own heart;

So I, for fear of trust, forget to say
The perfect ceremony of love's rite,
And in mine own love's strength seem to decay,
O'ercharg'd with burden of mine own love's might.

O let my books be, then, the eloquence
And dumb presagers of my speaking breast;
Who plead for love, and look for recompense
More than that tongue that more hath more express'd.

O learn to read what silent love hath writ:
To hear with eyes belongs to love's fine wit,

كممثل أزرى بمسرحه و تب
إنتابه فرَق فلاث بدوره

أو غاضب ضارٍ تملى بالغضب
حتى ونى منه الفؤاد بصدرهِ

كهما خشيت أعدم التصديقا
فتركت أُنشد في الهوى أورادي

و لفرط حبي صرت فيه سحيقا
متحملا ما عز كالأطوار

فاقْبَل نواطق مظهري لفصاحتي
و الخُرس من إنذار صدري الحاكي

هن الحماة محبتي و لراحتي
ذربَ اللسان يفقن في الادراك

إيه أقرأْ الكتبَ الغرام بصمته
فالسمع بالأبصار أُظرف سمته

No more be griev'd at that which thou hast done:
Roses have thorns, and silver fountains mud;
Clouds and eclipses stain both moon and sun,
And loathsome canker lives in sweetest bud.

All men make faults, and even I in this,
Authorising thy trespass with compare,
Myself corrupting, salving thy amiss,
Excusing thy sins more than thy sins are:

For to thy sensual fault I bring in sense,
(Thy adverse party is thy advocate,)
And 'gainst myself a lawful plea commence:
Such civil war is in my love and hate,

That I an accessary needs must be
To that sweet thief which sourly robs from me.

(١٢)

لا تبتئس مما اقترفت و قد مضى
للورد شوك و الغدائر طين
و النيرين الكسفُ و السحبُ اقتضى
و الدود محياها جنابد عين

الناس تذنب و استطال مآثمي
في عدّ ذنبك في الذنوب صحيحا
مستخلصا إياك وسط تأثمي
بمعاذر كثرت فبان شحيحا

فلذنب شهوتك التعقل أجتبي
فيصير يِدّك في هواك محاميا
و أخذّ نفسي بالشكايةّ أحتبي
حبٌّ و كرهٌ في هواي تعاميا

فغدوت يِتبع صبابةّ متفانيا
للسالب الجذاب غلّ فؤاديا

Why is my verse so barren of new pride?
So far from variation or quick change?
Why, with the time, do I not glance aside
To new-found methods and to compounds strange?

Why write I still all one, ever the same,
And keep invention in a noted weed,
That every word doth almost tell my name,
Showing their birth, and where they did proceed?

O, know, sweet love, I always write of you,
And you and love are still my argument;
So all my best is dressing old words new,
Spending again what is already spent;

For as the sun is daily new and old,
So is my love still telling what is told.

(١٣)

مالي أرى شعري عقيما من فخار طارف
مستبعَدا من فنّ تنويع و صرف عاجل

مالي مع الأزمان لا القي بنظرة عارف
نحو ابتداع طرائق و غريب مزجٍ ماثل

مالي انظّم عين ما نظّمت مثل نظامه
و أحطّ في دغل يُرى ما يستجدّ و يجدر

حتى باسمي قد غدا ينبيك عينُ كلامه
و يبين عن ميلاده أو حيث أمسى يصدر

إيهٍ ابْتهج حِبّي الجميل هواكمُ في شعرنا
و لَأنت و الحُب الجميل مدار كل مقالتي

فأُجدّد الكَلِمَ التليد و ذاك غاية قدرنا
و أعود أبذل ما بذلت و في الهوى هي حالتي

أفلا ترى الشمس القديمة في الصباح تجدَّدُ
فكتلك حبي إذ يجدِّد ما مضى و يردِّد

---

(١٣) المصراع السادس في نصّ الشاعر يحتمل معنيين على سبيل الافتراق . وقد اخترنا ما ترى في الترجمة حيث الدغل كناية عن الالفاظ و القوالب ، و ما يستجدّ و يجدر عن المعاني .

In the old age black was not counted fair,
Or if it were, it bore not beauty's name;
But now is black beauty's successive heir,
And beauty slander'd with a bastard shame:

For since each hand hath put on nature's power,
Fairing the foul with art's false borrow'd face,
Sweet beauty hath no name, no holy hour,
But is profan'd, if not lives in disgrace.

Therefore my mistress' eyes are raven black,
Her eyes so suited;and they mourners seem
At such;who, not born fair, no beauty lack,
Slandering creation with a false esteem :

Yet so they mourn, becoming of their woe,
That every tongue says, beauty should look so.

ماعُدّ حسنا في المواضي الأسحم
أو عُدّ ليس يحوز إسم جمال
و الآن حائزه السواد الأقتم
و سواه عُدّ معرة لكمال

أيدي الطبيعة نوعت قدراتها
تحبو القبيح بوجه فنّ فاتن
تبلي الملاحة في اسمها و رُعاتها
فترى الجمال أسيف وضع شائن

و كذاك سوداوان عينا خِدننا
تتناسقان و في حدادٍ مَظْهرا
يندُبن لا - شقراء لم تعدِم هنا
حسنا و ترمي الكون أن يُستصغرا

بل تندبان بلامِعَيْ حزن ظهر
فيقال آي الحسن هَنّا تُدَّخر

My mistress' eyes are nothing like the sun;
Coral is far more red than her lips' red:
If snow be white, why then her breasts are dun;
If hairs be wires, black wires grow on her head.

I have seen roses damask'd, red and white,
But no such roses see I in her cheeks;
And in some perfumes is there more delight
Than in the breath that from my mistress reeks.

I love to hear her speak, yet well I know
That music hath a far more pleasing sound:
I grant I never saw a goddess go;
My mistress, when she walks, treads on ground;

And yet, by heaven, I think my love as rare
As any she belied with false compare.

لخليلتي عينان لا كالشمس
و شفاهها ليست من المرجان
و النهد لا كالثلج بل من دمْس
و الفرع اسلاك من السودان

و لقد رأيت حواجما و أقاحي
و عدمت مثلهما على وجناتها
و من العطور أطايبَ الفوّاح
و عدمت طيّبه لدى نفحاتها

و احبُ اسمعُ نطقها مستيقنا
من أن موسيقى المعازف أعذب
ما إن رأيت إلاهةً تمشي هنا
فخليلتي فوق الثرى تتقلب

و لأُقسمَنَّ بالسماء حبيبتي
أحلى من اللائي قُرِنَّ بمدحةٍ

Thine eyes I love, and they, as pitying me,
Knowing thy heart torments me with disdain,
Have put on black, and loving mourners be ,
Looking with pretty ruth upon my pain.

And truly not the morning sun of heaven
Better becomes the grey cheeks of the east,
Nor that full star that ushers in the even
Doth half that glory to the sober west,

As those two mourning eyes become thy face:
O, let it then as well beseem thy heart
To mourn for me, since mourning doth thee grace,
And suit thy pity like in every part.

Then will I swear beauty herself is black,
And all they foul that thy complexion lack.

(١٦)

أحببت عينيكِ أما ما هما كستا
إذ ترثيان لحالي من فؤادكِ جافيا
فهو السواد حدادا إذ هما بدتا
تستعظمان عذابي في هواكِ معانيا

لا الشمس رأد الضحى في الأفق ساطعةً
تمتاز كالوجنة الشهبا لمشرقها
كلا و لا نجمة الإمساء لامعـةً
يزيِّنُ الغـربُ من لألأ معرقها

بل تلكِ عينا حداد وجهكِ رعتا
إيه أتركيه يماثلْ قلبكِ التعبا
يحدْ على حدادا زادكِ النعتا
و ليُفعِمنْ منكِ من مرثاتكِ الشعبا

إن الجمال سواد يعد أُقسمه
و إنّ من عدِمت سيماكِ تعدمه

When my love swears that she is made of truth,
I do believe her, though I know she lies;
That she might think me some untutor'd youth,
Unlearned in the world's false subtleties.

Thus vainly thinking that she thinks me young,
Although she knows my days are past the best ,
Simply I credit her false-speaking tongue:
On both sides thus is simple truth supprest.

But wherefore says she not she is unjust?
And wherefore say not I that I am old ?
O, love's best habit is in seeming trust,
And age in love loves not to have years told:

Therefore I lie with her, and she with me,
And in our faults by lies we flatter'd be.

أقسمتْ صيغتْ من الصدق الحبيب
كذبتْ لكنني صدّقتُها

علها تزعمني الغرّ السليب
حليةً العالم ما استعلمتها

أُوهم الفكرَ فتى تحسبني
و هي تدري خير أيامي مضت

أقبل الغش الذي تكذبني
فلدينا صفوةُ الصدق انقضت

فيمَ لا تجهر أن قد فجرت ؟
فيمَ لا أجهر أني مكتهلْ ؟

آهِ في الحب الظنون ابْتهرت
و حساب العمر مكروه خطلْ

هكذا طابت لدينا الكاذبات
مِدحةً تستر ما قد كان فات

Canst thou, O cruel say I love thee not,
When I, against myself with thee partake?
Do I not think on thee, when I forgot
Am of myself, all tyrant, for thy sake?

Who hateth thee that I do call my friend?
On whom frown'st thou that I do fawn upon?
Nay, if thou low'rst on me, do I not spend
Revenge upon myself If with present moan?

What merit do I in myself respect,
That is so proud thy service to despise,
When all my best doth worship thy defect,
Commanded by the motion of thine eyes?

But, love, hate on, for now I know thy mind;
Those that can see thou lov'st, and I am blind.

(١٨)

قسوتِ فهل تنفين حبيكِ غاليا
وكم ضدّ نفسي في المقاساة أعضِد
ألستُ لدى ذكراكِ أُبهر فانيا
قصاراي - يا هوجاء - زلفاكِ أقصد

و هل قطّ والينا مُعاديكِ من يكن ؟
و هل سَرَّ وجهي من عبست بوجهه ؟
بلى إن تجهمت عليّ ألم أكن
بمنتقم مني أئن لجبهه

و أيّ مزايا في احترامي لذاتيا
إذا كان مغرورا يضيق بخدمتكْ
و إني عيوبا فيكِ أعبد آتيا
بما تأمر العينان في عزّ لمحتكْ

أقيمي اكْرهيني قد بدت لي معاقده
ذوي نظر أحببت إذ أنا فاقده

---

(١٨) في المصراع السادس استعمل الشاعر الجناس اللفظي ، وما أمكن إظهار ذلك في الترجمة .

In faith I do not love thee with mine eyes.
For they in thee a thousand errors note;
But'tis my heart that loves what they despise
Who in despite of view is pleased to dote.

Nor are mine ears with thy tongue's tune delighted
Nor tender feeling, to base touches prone,
Nor taste nor smell, desire to be invited
To any sensual feast with thee alone:

But my five wits, nor my five senses can
Dissuade one foolish heart from serving thee,
Who leaves unsway'd the likeness of a man
Thy proud heart's slave and vassal wretch to be:

Only my plague thus far I count my gain,
That she that makes me sin, awarde me pain.

لست أهوالَ بعينيّ فقد
ألفَ عيب فيكَ دوما تلحظان
إنما قلبيَ يهوى الْتُنتَقَد
فهو رغم اللون بالعشق مُزان

لم تشنّف اذني من نبرتك
لا و لا الارهاف يبغي ملمَسا
ذوقُنا و الشم ضدا دعوتك
لوليم الحسن أن يُلتمسا

و خماسيا شعور و حواس
اخفقا في صدّ قلب يخدمكْ
لم يزل كالرَّجُل من بين اناس
عبدكَ الطائعَ تزجي كلمُكْ

فمصابي قد حسبتُ المغنما
تقتضي إنّما تجازي مألما

O, call not me to justify the wrong
That thy unkindness lays upon my heart;
Wound me not with thine eye, but with thy tongue;
Use power with power, and slay me not by art.

Tell me thou lov'st elsewhere;but in my sight,
Dear heart, forbear to glance thine eye aside.
What need'st thou wound with cunning, when thy might
Is more than my o'erpress'd defence can bide?

Let me excuse thee: ah! my love well knows
Her pretty looks have been mine enemies;
And therefore from my face she turns my foes,
That they elsewhere might dart their injuries:

Yet do not so: but since I am near slain,
Kill me outright with looks, and rid my pain.

(٢٠)

كفي طِلابكِ في تبريريَ الظُلُما
قاساه قلبيَ من هجر و من إحَن

لا تجرحيني بلحظٍ بل بما كَلَما
و مزّقيني و لكن ليس بالفِتن

قولي عشقتِ سوانا لكن ابتعدي
عن أن تشيحي فتؤذي خافقي الدَّنِفا

أغناكِ عن خُدَع الجانين أن تجدي
قوالِكِ جُلّى و حولي صوبها ضعفا

أو اتركيني أبرّئ : إن فاتنتي
تدري الجميلُ من الألحاظ أعدائي

لذاك تزوي عدوّي عن معاينتي
كيما ترى جرحهم في غير أنحائي

لا تفعلي ، بل أنا المدنى الى أجلي
فاستعجليه بلحظ يشفِ لي عللي

Thou art as tyrannous, so as thou art,
As those whose beauties proudly make them cruel;
For well thou know'st to my dear doting heart
Thou art the fairest and most precious jewel.

Yet, in good faith, some say that thee behold,
Thy face hath not the power to make love groan:
To say they err, I dare not be so bold,
Although I swear it to myself alone,

And, to be sure that is not false I swear,
A thousand groans, but thinking on thy face,
One on another's neck, do witness bear
Thy black is fairest in my judgment's place.

In nothing art thou black, save in thy deeds,
And thence this slander, as I think proceeds.

(٢١)

أنت يا طاغيتي طاغيةٌ
كاللواتي عن جمال قاسياتْ

في فؤادي في الهوى داعيةٌ
أنت أحلى جوهر في الغالياتْ

قال ناس مخلصون ما درى
سرَّ حديثك مثيرا للهوى

لست بالتكذيب أُفضي جاهرا
و فؤادي مُقسِمٌ أن قد غوى

و لقد برَّ بفحوى قسمي
ألف أناتي لذكرى جبهتكْ

و هي تترى شاهدات بفمي
إنما الزهرا سواد طلعتكْ

لستِ سوداء ، بلى في العمل
و هنا الفرية في ظني تلي

My love is as a fever, longing still
For that which longer nurseth the disease;
Feeding on that which doth preserve the ill,
The nucertain sickly appetite to please.

My reason, the physician to my love,
Angry that his prescriptions are not kept,
Hath left me, and I desperate now approve
Desire is death, which physic did except.

Past cure I am, now reason is past care,
And frantic mad with evermore unrest;
My thoughts and my discourse as madmen's are,
At random from the truth vainly express'd;

For I have sworn thee fair, and thought thee bright,
Who art as black as hell, as dark as night.

إن حُبي مثلُ حمّى تشتهي
ما يُغذّيها و يَستبقي المرضْ

فهي تقتات به لا تنتهي
عن تراضي مشتهىً شرِ عرضْ

إن عقلي و هو للحُب الطبيب
مغضَب حيث انتهكنا ما وصفْ

فازدارني و أنا العاني اجيب
رغبتي موت إذا الطب اختلفْ

قد تجاوَزنا شفائي و النُهى
و استجنّ الفكر إذ يربو الألم

فكرتي قولي كمجنون وَهى
قلّما في واقع الأمر ألمّ

كم حلفنا أنت حسناء النعيم
أنت يا سوداء ليل و جحيم

In loving thee thou know'st I am forsworn,
But thou art twice forsworn, to me love swearing;
In act thy bed-vow broke, and new faith torn,
In vowing new hate after love bearing.

But why of two oaths' breach do I accuse thee,
When I break twenty ? I am perjur'd most;
For all my vows are oaths but to misuse thee,
And all my honest faith in thee is lost:

For I have sworn deep oaths of thy deep kindness,
Oaths of thy love, thy truth, thy constancy;
And, to enlighten thee, gave eyes to blindness,
Or made them swear against the thing they see;

For I have sworn thee fair: more perjur'd I,
To swear, against the trnth, so foul a lie!

قلتُ أحببتكِ و الحنث معاشي
و حنثتِ أنتِ فينا مرتين

فنقضت عهد حُب و فِراش
زدتِ في حبٍ و كرهٍ عُهدتين

أأقاضيكَ يمينين اجترفتِ
و أنا عشرين أدهى منكِ زورا
في عهدي أن أحابي ما اقترفتِ
و ولائي الصدق قد أمسى دثورا

أوَلم أحلف على أن حزت خيرا :
فيكِ حبٌ فيكِ صدقٌ و استقامة
و لتجميلكِ عيني سِمْتَ ضيرا
تَحلَفان رأتا غير المقامة

قلتُ حسناءُ و لكن قلتُ زورا
كاذبا في قسمي كذبا جهورا

O me ! what eyes hath love put in my head,
Which have no correspondence with true sight!
Or, if they have, where is my judgment fled,
That censures falsely what they see aright?

If that be fair whereon my false eyes dote,
What means the world to say it is not so?
If it be not, then love doth well denote
Love's eye is not so true as all men's: no,

How can it? O how can Love's eye be true,
That is so vex'd with watching and with tears?
No marvel then though I mistake my view;
The sun itself sees not till heaven clears.

O cunning love! with tears thou keep'st me blind,
Lest eyes well-seeing thy foul faults should find.

وا ، أيَّ عينين في رأسي الهوى نصبا
لا تلفيان الى صدق الرؤى سبلا

أو إن هما ألمتا أينَ النُهى هربا
أم ضلَّ إذ رأتا بالصدق متصلا ؟

أو إن زها الحسن ما عيناي قد هوتا
فما لقولِ الورى شأن إذ اعترضوا

أو صار لم يَزْهُ قال الحبُّ قد ثبتا
رؤيا الهوى غير ما من واقع عرضوا

أنّى لعين الهوى أن تحسن النظرا
و هي السقيم بطول الدمع و النظر

فليس من عجب إن اُحْتَجَبْ بصرا
و الشمس في سحب محجوبة البصر

يا حُبّ اعميتني بالدمع مختدعا
كي لا ترى مقلتي سوءاتٌ والخدع

Poor soul, the centre of my sinful earth,
Fool'd by these rebel powers that thee array,
Why dost thou pine within, and suffer dearth,
Painting thy outward walls so costly gay?

Why so large cost, having so short a lease,
Dost thou upon thy fading mansion spend?
Shall worms, inheritors of this excess,
Eat up thy charge? Is this thy body's end?

Then, soul, live thou upon thy servant's loss,
And let that pine to aggravate thy store;
Buy terms divine in selling hours of dross;
Within be fed, without be rich no more:

So shalt thou feed on Death, that feeds on men,
And Death once dead, there's no more dying then.

(٢٥)

أيها الروح المُعَنّى مركز الأرض الأثيمة
أرضي المتزدان زيفا من قواي الجانحات
فيمَ تستبطن فقرا و جراحات أليمة
صابغ المظهر صبغات ثمانا لائحات

فيم هذا الثمن الغالي «لبيعٍ بالوفاء»
تنفق اليوم الدار مُنِيَتْ بالاندثار
و تؤول آخر الأمر لديدان الرثاء
لاهمات جسمكَ المدفون في أرض البوار

أيها الروح إذن عش و لْيُعَنّى خادمكْ
دعه يألم و استزد يا روح مما ينفعكْ
بِعْ سويعاتك و ابْتَعْ دينَكَ اليستقدمكْ
ظاهر الفقر و في الباطن نعمى ترفعكْ

هكذا تعلو على الموت الذي يعلو الرجال
و إذا ما هُزِمَ الموت تناهى الإرتحال

---

(٢٥) «البيع بالوفاء» مصطلح قانوني لبيع إلى أجل يعود عند انقضائه المبيع الى مالكه الأول. وكذلك نظيره المصطلح الانكليزي في نص الشاعر. و أحكامه موجودة في القانونين الاسلامي و الانكليزي. و كلمة «خادمك» في أول الرباعي الثالث كناية عن الجسد.

الملحق الاول

حادي الرّكبان

حادي الركبان هيّا سر بنا
فوق خط مدّ من سبكْ الحديد
أسر لا تخشى العنا في سربنا
نحو أوطان هواها نستزيد

ما لقلبي في اضطراب و خفوق
هل دنا من هجعة كي يستريح
أم إلى سعدى هو السارى المشوق
فهو للّقيا بجنبيّ يصيح
ليت شعري هل بحاليه الوثوق
فرقةٍ أو وصلِ محبوب مليح

حادي الركبان أسرع هّهنا
في فؤادي للهوى لحن جديد
إقترب من روضتي وادي المنى
حيث نجرى ذكر ماضينا المجيد

• • •

يا لذكرى بفؤادي المستهام
للقاء بين أغصان الشّجر
ذات ليل طاب من طيب الهيام
في عتاب و تصابٍ و سمر
و ارتوت فيه شفاه ما تلام
قبلا طابت على ضوء القمر

فاذا من دفئها القلب دنا
و إلتقى بالنهد يصغي للوريد
كيف يسري فيه تيار الهنا
و الهوى في ليلة الوصل السّعيد

يا لها من ليلة تنفي الجوى — في رياض بدرها الزاهي اكتمل
و ترينا كيف نستسقي الهوى — في كؤوس من شفاه و مقل
و إذا ما هُزّ عطف فانطوى — كيف تحمرّ خدود من خجل

قلت ما أحلاك يا بنت السّنا — و الضحى و العطر و المجد التليد
أترعي الكأس فما تبقى لنا — إنما الدّنيا سويعات تبيد

• • •

إنتصت للنّاي حادي ركبنا — يبعث الأشجان في جوف الأثير
واسمع الورقاء كم تشكو الضنى — من فراق داهم القلب الكسير
و تأمّل كلماتي فالدّنا — طول هجر بعدما وصل قصير

ثم زد ما ازددت سيرا حولنا — صخب الآلات قدّت من حديد
إنها كالنّاي تحكي قولنا — ليس في العيش سوى الذكرى جديد

الملحق الثاني

She walks in beauty, like the night
Of cloudless climes and starry skies,
And all that's best in dark and bright
Meet in her aspect and her eyes,

Thus mellow'd to that tender light
Which heaven to gaody day denies.
One shade the more, one ray the less ,
Had half impair'd the nameless grace

Whiche waves in every raven tress ,
Or softly lightens o'er her face,
Where thoughts serenly sweet express
How pure, how dear their dwelling -place.

And on that cheeck and o'er that brow
So soft, so calm, yet elquent,
The smiles that win, the tints that glow,
But tell of days in goodness spent,

A mind at peace with all below ,
A heart whose love is innoncent .

Lord Byron

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد رقم ٢١٤ لسنة ١٩٩٧



بغداد ـ شارع المتنبي هـ ٤١٥٤١٥٠